بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرابِها مَغْفِرَةً» رَوَاه التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ. «عَنَان السَّماءِ» بِفَتحِ العينِ قِيْلَ هو: مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا، أَي ظَهَرَ إذا رفَعْتَ رَأسكَ، وَقِيلَ هو: السَّحاب. و«قُرابُ الأرضِ» بِضَمِّ القَاف، وقيلَ بِكسرها، والضَّم أصحُّ وأَشهَرُ وهوَ: مَا يُقارِبُ مِلأَها، والله أَعْلَم[1].

٥٣ ــ باب: في الجمع بين الخوف والرجاء

اعلم أَنَّ الْمُخْتَارَ لِلعَبْدِ فِي حَالِ صِحَّتِهِ أَنْ يَكُونَ خَائِفاً رَاجِياً، وَيَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ

بي) جملة في محل الحال من الفاعل **(شيئاً)** أي: من الشرك أو من المعبودات **(لأتيتك بقرابها مغفرة)** أي: لغفرتها لك وذلك؛ لأن الإيمان به تعالى شرط في العفو عن الذنب غير الشرك؛ لأنه أصل يبنى عليه قبول الطاعة والعفو عن المعصية، بخلاف الشرك إذ لا أصل معه يبنى عليه العفو عنه ولا بد أن يضم إلى الإيمان بالله تعالى الإيمان بنبيه محمد ﷺ وبما جاء به. هذا، والمراد من أتيتك غايته من المغفرة، أو إرادتها لاستحالته عليه وأتى به مشاكلة، والحديث من الأحاديث القدسية **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن)** زاد في الجامع بعد قوله: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قال الحافظ العلائي في الأربعين: «قلت»: يعني غريباً من جهة أنس، وقد روي من حديث ابن عباس وأبي ذر ثم أخرج حديث ابن عباس من طريق الطبراني وحديث أبي ذر من طريقين وقال بعد إخراجه: رواه الحافظ أبو عوانة في صحيحه «قلت»: وذكر السخاوي في تخريج الأربعين الحديث التي جمعها المصنف إن لحديث أنس طريقاً آخر غير طريق الترمذي عند ابن فنجويه[2] بنحو الحديث المذكور، وقال بعد تخريجه: سنده ضعيف والأول أصح **(عنان السماء بفتح العين)** المهملة وبنونين خفيفتين **(قيل هو ما عنّ)** بتشديد النون **(لك منها أي: ظهر إذا رفعت رأسك، وقيل: هو السحاب)** هو ما اقتصر عليه صاحب المصباح المنير، وعبارته: العنان قيل: السحاب وزناً ومعنى الواحدة عنانة **(وقراب الأرض بضم القاف وقيل بكسرها والضم أصح وأشهر، وهو ما يقارب ملأها)** تقدم الكلام من المصنف أوائل باب الرجاء، وتقدم ما يتعلق به من الشرح ثمة.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار... (الحديث: ٣٥٤٠).
(٢) بضم الجيم وفتح الياء.

سواءً، وفي حَالِ الْمَرَضِ يَتَمَحَّضُ الرَجاءَ. وَقَوَاعِدُ الشَّرعِ مِن نُصوصِ الْكِتَابِ والسُّنَّة وَغَيْرِ ذٰلِكَ مُتَظَاهِرَةٌ عَلَى ذٰلِكَ.

قالَ الله تَعَالَى: (١) ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الخاسِرونَ﴾.

وقال تعالَى: (٢) ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكافِرونَ﴾

وقال تعالى: (٣) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

بـاب الجمـع بيـن الخـوف

من الله تعالى **(والرجاء)** لفضله وإحسانه **(اعلم أن المختار للعبد)** أي: المكلف حراً كان أو رقيقاً ذكراً كان أو غيره **(في حال صحته)** أي: سلامته من المرض **(أن يكون خائفاً راجياً)** ليزجره الخوف عن المخالفة ويبعثه الرجاء على اكتساب العمل الصالح **(ويكون خوفه ورجاؤه سواء)**؛ لأن الغالب في القرآن ذكر الترغيب والترهيب مقترنين، وهذا أصح الوجهين عند الأصحاب، وقيل: يكون خوفه أكثر، ومحل الخلاف ما لم يغلب عليه القنوط فيغلب على نفسه باب الرجاء، وما لم يغلب عليه سعة الرجاء ويخشى انحلال ربقة التكليف فيغلب حينئذ باب الخوف **(وفي حال المرض يتمحض الرجاء)** لما تقدم في حديث «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» **(وقواعد الشرع)** جمع قاعدة وهو قانون كلي يتعرف منه أحكام جزئياته. والشرع ما شرعه الله من الأحكام للعباد مما ينتظم به أمر معاشهم ومعادهم، وتسمى القاعدة قانوناً وضابطاً وأصلاً، ويرادف الشرع من حيث المصداق الإسلام والدين والملة، وإن كانت متخالفة من حيث الاعتبار **(من نصوص الكتاب)** أي: القرآن **(والسنة)** وهو ما أضيف إليه ﷺ من قول أو صفة أو فعل أو تقرير **(وغير ذلك)** كالإجماع **(متظاهرة على ذلك)** أي: المذكور والتظاهر بالهاء كأن بعضها يشد ظهر الدليل الآخر. **(قال تعالى: فلا يأمن مكر الله)** قال البيضاوي: ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذ. من حيث لا يحتسب **(إلا القوم الخاسرون)** أي: الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار. **(وقال تعالى: إنه لا ييأس)** أي: يقنط **(من روح الله)** أي: من رحمته التي يحيي به العباد **(إلا القوم الكافرون)** بالله وصفاته، فإن العارف لا يقنط من رحمته تعالى في شيء من الأحوال **(وقال تعالى: يوم تبيض وجوه)** وهو يوم القيامة تبيض وجوه المحقين سرمداً ونوراً **(وتسود وجوه)** هي وجوه

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

وقال تعالى: [١] ﴿إنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وإنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال تعالى: [٢] ﴿إنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٣]: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.

والآيَات في هذا المعنى كثيرةٌ. فَيَجتَمِعُ الخَوفُ والرَّجاءُ في آيَتَيْنِ مُقْتَرِنَتَيْنِ أوْ آياتٍ أوْ آيَةٍ.

٤٤٣ ـ وعَن أبِي هُرَيْرة رَضِي الله عَنهُ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ المُؤمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ من العُقوبَة ما طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أحَدٌ، ولَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ ما عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ ما قَنَطَ مِن جَنَّتِهِ أحدٌ» . . . .

المبطلين تسود خزاية ودحوراً (وقال تعالى: إن ربّك لسريع العقاب) لمن عصاه (وإنه لغفور) لأهل طاعته (رحيم) بهم (وقال تعالى: إن الأبرار) المؤمنين الصادقين (لفي نعيم) جنة (وإن الفجار) الكفار (لفي جحيم) نار محرقة. (وقال تعالى: فأما من ثقلت موازينه) بأن رجحت حسناته على سيآته (فهو في عيشة راضية) في الجنة أي: ذات رضى برضاها أي: مرضية له (وأما من خفت موازينه) بأن رجحت سيآته على حسناته (فأمه) مسكنه (هاوية) وبينها سبحانه مهولاً لشأنها بقوله (وما أدراك ماهيه نار حاميه) نسأل الله العافية (والآيات في هذا المعنى) أي: الجمع بين الرجاء والخوف (كثيرة، فجمع الخوف والرجاء في آيتين مقرونتين) كآية ﴿إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم﴾[٤] (أو آيات) وذلك كثير في التنزيل (أو آية) كقوله ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾[٥].

٤٤٣ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لو يعلم المؤمن ما عند الله) من العقوبة (ما طمع بجنته أحد) وذلك لما يشهده من جلال الحق سبحانه ويخشاه من انتقامه وهو العدل في جميع ذلك (ولو يعلم الكافر ما عند الله) من الرحمة (ما قنط) من القنوط بالضم: وهو الإياس (من رحمة الله) قال في المصباح: قنط يقنط من باب ضرب يضرب وتعب فهو قانط وقنوط وقنط. وحكى الجوهري لغة ثالثة من باب قعد اهـ. أي: ما

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٧.
(٢) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٣) سورة القارعة، الآيات: ٦، ٧، ٨، ٩.
(٤) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٤٤٤ ــ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ ٱللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ واحْتَمَلَها الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُوني قَدِّمُوني، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٢).

يئس من جنته أحد بل كان يرجوها لما يعلمه من كثرة الرحمة وسعتها (رواه مسلم) وفي الجامع الصغير رواه الترمذي، وهو منه عجيب كان حقه حيث ما هو في الصحيح عزوه إليه، وفي المشارق رمز متفق عليه، وتعقبه شارحه الكازروني بأن الحديث لمسلم انفرد به عن البخاري.

٤٤٤ ــ (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا وضعت الجنازة) أي: بين يدي الرجال ليحملوها (واحتملها الرجال) على أعناقهم قيد، إذ لا يتولى حمل الجنازة ولو امرأة إلا الرجال إن وجدوا لضعف النساء غالباً فيكره لهن حملها، ويكره للرجال كراهة شديدة تمكينهن منها بل أطال بعضهم في الانتصار لحرمته نعم الأولى لا يتولى حمل المرأة من المغتسل إلى النعش وتسليمها لمن في القبر وحل ثيابها إلا النساء على أعناقهن (فإن كانت صالحة) يحتمل أن المراد مطلق الصلاح وهو الإيمان، أو الصلاح الذي هو امتثال الأوامر واجتناب النواهي (قالت: قدموني قدموني) اشتياقاً إلى ما أعده الله لها من نعيم القبر ونضارته (وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها) إضافته ومابعده إليها بضمير الغيبة على خلاف القياس من ويلي؛ لأنه حكاية كلامها وكراهة أن الويل يضاف لنفس المتكلم، وهو كلمة جزع وتحسر. والمعنى يا حسرته وندامته هذا وقتك فاحضريني. والويل الهلاك (أين تذهبون بها يسمع) الظاهر أنه بمعنى يستمع (صوتها كل شيء) عمومه متناول للجماد. ولا بعد في خلق قوة الاستماع في الجماد (إلا الإنسان) وحكمة استثنائه قوله (ولو سمعه لصعق) بكسر العين: أي: مات لشدة ذلك الصوت الناشىء عن شدة ما يرى مما أعد له من الويل والثبور (رواه البخاري) في الجنائز.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى... (الحديث: ٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: حمل الرجال الجنازة (١٤٦/٣).

٤٤٥ ــ وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِن شِراكِ نَعْلِهِ، والنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1].

٥٤ ــ باب: في فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقاً إليه

قالَ اللَّهُ تعَالى[2]: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾.

---

٤٤٥ ــ **(وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله)** بكسر الشين المعجمة وتخفيف الراء وآخره كاف: أحد سيور النعل التي تكون في وجهها، ويطلق على كل سير وقى به القدم **(والنار مثل ذلك)** أي: في الأقربية. قال ابن بطال فيه: إن الطاعة موصلة إلى الجنة وإن المعصية مقربة إلى النار، وإن الطاعة والمعصية قد يكونان في أيسر الأشياء، وفي هذا المعنى حديث «إن الرجل ليتكلم بالكلمة» الحديث. فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه ولا في قليل من الشر أن يجتنبه فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السيئة التي يسخط الله عليه بها. وقال ابن الجوزي: معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة، والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية اهـ. من فتح الباري **(رواه البخاري)** ورواه أحمد أيضاً كما في الجامع الصغير.

باب فضل البكاء من خشية الله تعالى

الخشية: الخوف المقرون بإجلال، وذلك للعلماء بالله تعالى كما قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾[3] أماتنا الله على محبتهم **(وشوقاً إليه)** معطوف على محل المجرور بمن إذ هو مفعول له، وقد صرح النحاة بأن المفعول له عند اجتماع شروط نصبه لا يجب النصب بل يجوز جره حينئذ وما هنا كذلك، ويجوز العطف بالنصب على محل ذلك، قال الله تعالى: ﴿والخيل البغال والحمير لتركبوها وزينة﴾[4] فزينة معطوف على محل لتركبوها على أحد الأقوال في إعراب الآية، وأشار المصنف بالترجمة إلى أن الداعي للبكاء إما أن يكون خشية لما علم العارف من عظم جلال مولاه، وإما شوقاً لما كشف له مما تقصر العبارة عن بيان أدناه، فضلاً عن أقصاه. **(قال الله تعالى:)** مبيناً حال من اطلع على الكتب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله (١١/٢٧٥).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٩. (٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨. (٤) سورة النحل، الآية: ٨.